عـــرض كتـــاب

اللغـــات المفـقـــودة

أحمد منصور

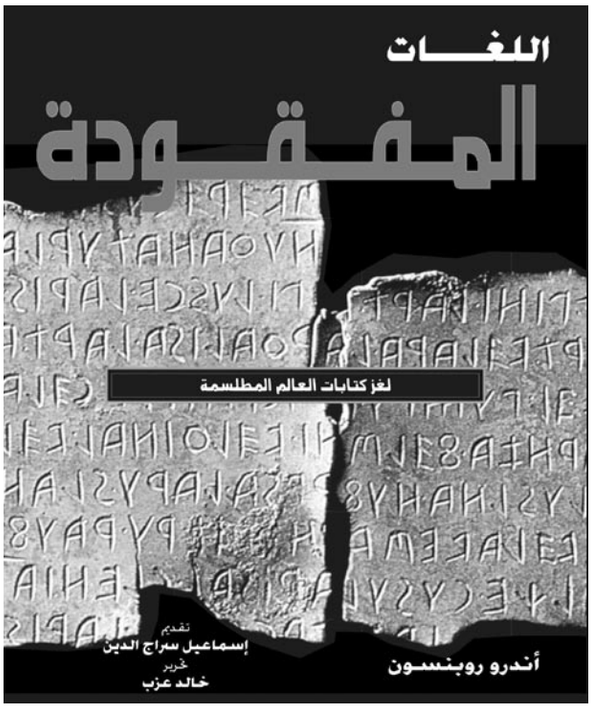

اسم الكتاب	اللغات المفقودة
مؤلف النسخة الأصلية الإنجليزية	Andrew Robinson
تحرير النسخة العربية	خالد عزب
ناشر النسخة العربية	مكتبة الإسكندرية / Mc Grow Hill
سنة النشر	2006
رقم التصنيف الدولي	ISBN 977-6163-51-5
عدد الصفحات	352
مقاس الكتاب	23.7 x 18.5 cm

يعد اختراع الكتابة واحدًا من أهم الاختراعات البشرية، إن لم يكن أهمها جميعًا، فبدون الكتابة ليس ثمة تاريخ للبشرية، ومع ذلك فنحن ننظر إلى الكتابة على أنها مجرد أمر مسلم به: فنحن نتعلمها في المدارس بناءً على الأبجدية أو (إذا كنا من أهل الشرق الأقصى) نتعلمها من واقع الرموز الصينية. ومع ذلك فنادرًا ما نتوقف قليلاً لنتمعن في الجهد العقلي– البدني الذي يحول أفكارنا إلى رموز نصكها على قطعة من الورق، وقليل منا يعرف كيف تعلمت البشرية أن تخط أو تكتب.

على الجانب الآخر تعتبر اللغة هي أداة التواصل ووسيلة التفاعل بين الشعوب والأجناس المختلفة، وكثيرًا ما تحيرت العقول، وتعقدت الأمور في الوصول إلى إمكانية الكشف عن لغة الأسلاف، وحضارة الأجداد، ومجد الحضارات، من هذا المنطلق يستمر مركز الخطوط في مشروعه الطموح في ترجمة المؤلفات المعنية بشأن اكتشاف اللغات القديمة، وإلقاء الضوء على أهميتها، والعمل الذي نطرحه اليوم هو كتاب **اللغات المفقودة**، من تأليف أندرو روبنسون Andrew Robinson، وهو متخصص في اللغات القديمة. أما عن العنوان بالعربية، فقد تُرجم إلى اللغات المفقودة.

يهدف المؤلف في كتابه 'اللغات المفقودة' إلى إلقاء الضوء على العديد من اللغات والكتابات المفقودة، حيث تضم هذه اللغات والكتابات، كتابات زابوتي وإسثميا من منطقة أمريكا الوسطى، والكتابات الأتروسكية وهي منطقة توسكانيا في شمال غرب إيطاليا، والكتابات العيلامية، والتي ظهرت في المنطقة التي يطلق عليها الجغرافيون الكلاسيكيون اسم

'سوسيانا'، وهي تقع تقريبًا قرب منطقة حقول النفط الواقعة غرب إيران، والكتابات المروية التي تُسمى باسم عاصمة مملكة كوش 'مروي'، وهذه المملكة احتلت منطقة النوبة عند الشلالين الخامس والسادس، ثم يتحدث الكاتب عن الكتابتين الخطيتين الأولى والثانية في مدينة كنوسوس في جزيرة كريت، ثم يتحدث الكاتب عن كتابات الرونجو رونجو وهي كتابة أهل جزيرة إيستر، التي توجد في منطقة الأقويانوس، بالقرب من شيلي وتاهيتي، والكتابات المصورة في حضارة شعوب المايا، وأخيرًا كتاب حوض نهر وادي الإندوس في شبه القارة الهندية.

ينقسم كتاب اللغات المفقودة إلى مقدمة، وثلاثة أجزاء، وخاتمة. جاءت **المقدمة** بعنوان 'منظومات الكتابة، الحضارات المشفرة، والكتابات ملغزة الطلاسم' يتناول فيها المؤلف أهم المنظومات الكتابية القديمة التي تم فك طلاسمها، فلقد شهد العالم المئات من الاكتشافات والأعمال البطولية على مدى الألفيتين الماضيتين من عمر البشرية، ولكن فك الطلاسم الملغزة للحضارات المفقودة وآثارها إنما يرجع فقط إلى القرنين الماضيين من التاريخ الإنساني الطويل.

جاء أول إنجاز في هذا المجال بفك طلاسم الكتابة الهيروغليفية على يد جان فرانسوا شامبليون في عام ١٨٨٢م من خلال النقوش الواردة على حجر رشيد، الذي عثر عليه في عام ١٧٩٩م في مدينة رشيد. يعتبر حجر رشيد هو حجر الزاوية في فك رموز اللغة المصرية القديمة، حيث نقشت عليه ثلاثة خطوط تمثل لغتين هما: اليونانية، والمصرية القديمة في خطيها الهيروغليفي، والديموطيقي، ومن خلال تحليل شامبليون لأسماء الأعلام الواردة على حجر رشيد وفي نقوش مصرية أخرى من قبيل أسماء الإسكندر، بطلميوس، قيصر، كليوباترا، إلى جانب الاستعانة باللغة القبطية على اعتبار أنها المرحلة الأخيرة من اللغة المصرية القديمة، تمكن من استخلاص الأصوات والمعاني للكلمات الهيروغليفية والديموطيقية. هكذا اتسعت مساحة التاريخ المكتوب لتستوعب ألفين من السنين.

في شهر مايو ١٩٥٣ أعلن مايكل فنتريس بكل فخر وشموخ عن فك طلاسم الكتابة الخطية الثانية التي كان قد تم الكشف عنها سنة ١٩٠٠ على ألواح من الصلصال في قصر الملك مينوس في بلدة كنوسوس في جزيرة كريت، لتمهد الطريق أمام قراءة ألواح جديدة تم الكشف عنها على أرض بلاد اليونان، وهكذا فإنه بعد جهود مضنية وطويلة، أمكن التعرف على المعاني المتضمنة في الحروف المنقوشة على لوحات الصلصال، كما أصبحت الكتابة الخطية الثانية تمثل أول محاولة أوروبية مكتملة للكتابة، ترجع إلى ألفية الثانية قبل الميلاد، في لهجة قديمة باليونانية العتيقة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف بدأت الكتابة؟ لقد اعتقد الناس حتى عصر التنوير –عل حد قول المؤلف– أن الكتابة بدأت كهبة سماوية ربانية، واليوم يسود الاعتقاد بين أغلب العلماء بأن الكتابة الأكثر قدمًا في التاريخ الإنساني كانت تدور حول الأمور الحسابية، وإن كان هذا الأمر لا يتضح بالقدر الكافي في السجلات المتبقية من مصر القديمة، والصين، وأمريكا الوسطى. من الواضح أنه في زمن ما من الألفية الرابعة قبل الميلاد، ظهرت الحاجة الملحة في بلاد ما بين النهرين لتسجيل المعاملات التجارية المتشابكة الأطراف في مختلف المدائن، عندما لم تعد ذاكرة الصفوة الحاكمة كافية لرصد وتذكر هذه الأمور الحسابية التجارية، وعندما ألح هذا المطلب على عقول رجال الإدارة والتجار في سومر، شاعت بين القوم عبارات من قبيل 'سوف أسجل هذا الأمر كتابة' –على حد تعبير المؤلف.

يؤمن الكتاب أندرو روبنسون بأن الكتابة ظهرت أول ما ظهرت كان في بلاد الرافدين، وهذا ما اتفق معه حتى وقت قريب، لكن في ضوء اكتشافات البروفيسور جونتر درايـر– مدير المعهد الألماني– في منطقة أبيدوس في صعيد مصر ظهر أن المصريين هم أسبق في اختراع الكتابة بمائتين عام على بلاد سومر، فقد ظهرت الكتابة في مصر حوالي ٣٥٠٠–٣٤٠٠ ق.م، وفي بلاد سومر في عام ٣٣٠٠ ق.م، وفي وادي السند في عام ٢٥٠٠ ق.م، وفي كريت سنة ١٧٥٠ ق.م، وفي الصين سنة ١٢٠٠ ق.م، وفي أمريكا الوسطى قرابة سنة ٥٠٠ ق.م، وليس

من شك في أن المجتمعات البشرية قد استعارت من واحدتها الأخرى شيئًا من منظومة الكتابة، فلقد اقتبس أهل مروي في السودان بعض الحروف الهيروغليفية المصرية لتمثيل أصوات لغتها التي لا نعرف أصولها، كما استخدم الرومان الأبجدية الأتروسكية، واقتبس اليابانيون الحروف الصينية في الألفية الأولى للميلاد، وطوع السلاف الأبجدية اليونانية لخلق كتابتهم 'الكتابة السيريلية'.

يعالج **الجزء الأول** من كتابنا هذا في ثلاثة فصول متعاقبة جهود فك طلاسم الكتابات الرئيسية، وجاء **الفصل الأول** بعنوان 'أصوات الفراعنة، الهيروغليفية المصرية' وقد قام بترجمة هذا الفصل الأستاذ رمضان هاشم، وقام بمراجعته الدكتور عكاشة الدالي. يتناول المؤلف في هذا الفصل قصة فك رموز اللغة المصرية القديمة، حيث تبدأ بعثور جنود الحملة الفرنسية في عام ١٧٩٩م على حجر رشيد، والذي ربما كان مبنيًا في جدار قديم جدًا في مدينة رشيد، ثم نُقل هذا الحجر إلى القاهرة، وهناك تم نسخه إلى عدة نسخ، وتم توزيعها على العلماء الأوروبيين خلال عام ١٨٠٠م، ومن المعروف أن الحجر مُشكل على هيئة لوحة رمادية من الصخر البركاني (وليس البازلت، كما كان يعتقد سابقًا).

كانت أولى خطوات فك رموز حجر رشيد هي ترجمة نص النقش اليوناني، وقد اتضح أن النص هو مرسوم صادر من منف من قِبل مجلس الكهنة للتعبير عن شكرهم وعرفانهم للملك بطلميوس الخامس، ونقش هذا النص بثلاثة خطوط: الهيروغليفية، الديموطيقية، اليونانية، تمثل لغتين هما: اللغة المصرية القديمة، واللغة اليونانية. نظرًا لأن الجزء الهيروغليفي مشوه ومهشم إلى حد كبير فقد تم التركيز على الجزء الديموطيقي، وقد تبنى اثنان من العلماء وهما: سلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy، ويوهان اكربلاد Johan Akerblad البحث عن اسم بطلميوس في نفس موضع الظهور المعروف لبطلميوس في النقش اليوناني، وبالعثور على هذه المجموعات، لاحظا أن الأسماء في الديموطيقية احتوت على عدد من الحروف المماثلة عددًا لحروف مثيلاتها اليونانية المفترضة وبمضاهاة العلامة الديموطيقية بالحرف اليوناني، استطاعا استنتاج حروف أبجدية أولية للعلامات الديموطيقية. والواقع أن الشخص الذي كسر هذا الجمود، وبدأ عملية التفسير الحقيقية، كان رجلاً إنجليزيًا يُدعى توماس يونج Thomas Young. هذا وقد بدأ يونج عمله على نقش حجر رشيد في ١٨١٤، ومثل دى ساسي بالتركيز على الكتابة الديموطيقية. ومن شدة وكثرة الفحص والتحليل، لاحظ يونج 'تشابه مذهل' – والذي كان مهملاً حتى ذلك الحين – بين بعض الرموز الديموطيقية المختصرة البسيطة وما أسماه 'المثيل الهيروغليفي'، وكان الإيعاز الأول من هذه الملاحظة هو أن الديموطيقي ربما يرتبط مباشرة بالهيروغليفي، كما تتشابه الحروف الأبجدية المتصلة الحديثة إلى حد ما وبصورة جزئية مع مثيلاتها المطبوعة. وبمقارنة الكتابات الثلاثة المنقوشة على حجر رشيد بصورة منهجية، ربط يونج بين الكلمات المتصلة في كل منها مثل 'ملك' و'مصر'، ووصل إلى تخمين صائب لمعاني عدد مذهل من مجموعات الكلمات الهيروغليفية. لكنه لاحظ أيضًا أنه لا يوجد رمز واحد من تلك الرموز (أعني الهيروغليفية) يمكن توفيقه دون تحريف متعسف لأي أشكال متصورة من الأبجدية.

ولقد كان جان فرانسوا شامبليون Jean-Francois Champollin، وهو الشخص الذي نجح في نهاية المطاف في تحقيق ذلك، فقد كان أصغر من يونج بسبعة عشر عامًا، ومثلما فعل يونج من قبل، قرر شامبليون أن الصيغة الأقصر تمثل تهجئة لبطلميوس، في حين أن خرطوش حجر رشيد ذي الصيغة الأطول لابد أنه اشتمل على لقب ملكي ما، مضافًا لاسم بطلميوس. وثانية وعلى نفس نهج يونج، افترض أن بطلميوس كان مكتوبًا بتهجئة أبجدية، وكذلك كانت كليوباترا على مسلة فيله. وقد تبع ذلك بتخمين القيم الصوتية للهيروغليفية في كلا الخرطوشين. ولكن الاختبار الحقيقي، تتمثل فيما إذا كانت القيم الصوتية الجديدة عند تطبيقها على خراطيش في نقوش أخرى يمكن أن تؤدي إلى أسماء ذات معنى. وقد استمر شامبليون في تعريف خراطيش الحكام الآخرين ذوى الأصل غير المصري، مثل برنيكة Berenike (التي تعامل معها يونج من قبل)

– وقيصر Caesar ولقب الإمبراطور الروماني أوتوكراتور Autocrator.

وفي ٢٧ سبتمبر ١٨٢٢، شعر شامبليون بأنه مستعد لإعلان تلك – والذي كشف فيه النقاب عن توصله المبدئي لقائمة علامات هيروغليفية / ديموطيقية كاملة مع مثيلاتها اليونانية، مصحوبة بخرطوش باسمه مكتوب بالكتابة الديموطيقية. وفي ١٨٢٤م، وبعد عدة شهور من الدراسة المكثفة للهيروغليفية في نقوش مصرية متنوعة تشمل برديات، نشر شامبليون تقريره النهائي عن تفسيره للكتابة المصرية تحت عنوان 'موجز لنظام الكتابة الهيروغليفية عند قدماء المصريين' وفي مقدمته تحدث عما يراه حيال مساهمة يونج فيقول:

'أنا اعترف إنه كان أول من نشر بعض الأفكار الصحيحة عن كتابات مصر القديمة، وإنه أيضا كان أول من وضع بعض أوجه التمييز الصحيحة المتصلة بالطبيعة العامة لهذه الكتابات، وحددها عن طريق إجراء مقارنة جوهرية للنصوص وقيمة مجموعات عديدة من الرموز والعلامات. بل إنني اعترف أنه نشر أفكاره قبلي حول إمكانية وجود علامات صوتية متعددة، والتي استخدمت لكتابة الأسماء الأجنبية في مصر بالهيروغليفية، وأخيرًا فإن السيد يونج كان أيضًا أول من حاول – دون أن يحرز نجاح كامل – إعطاء قيمة صوتية للعلامات الهيروغليفية المكونة لاسمي بطلميوس وبرنيكة'.

وكان للمؤلف مداخلة مفادها أن شامبليون كان شديد الدقة إلا أن هذه الدقة يشوبها نقطة ضعف تتمثل في ذلك الإطراء الباهت في الإشارات الغامضة إلى 'الأفكار الصحيحة' و'أوجه التمايز الصحيحة'. فقد أغفل هذا الرأي المبدأين الأساسيين اللذان أدركهما يونج ونشرهما في ١٨١٩ وهما: الأول أن الكتابة الديموطيقية لحد ما تشبه الكتابة الهيروغليفية نظريًا ومن ثم فإن واحدة منهما كانت مشتقة من الأخرى، والثاني أن الكتابة الديموطيقية بناء على ذلك لم تكن أبجدية لكنها خليط من علامات صوتية وعلامات هيروغليفية. لكن بالطبع كان شامبليون، وشامبليون وحده، هو من اتخذ الخطوة المنطقية التالية، فبشجاعة طرح جانبًا كل آرائه السابقة ليفترض – هذا النوع من الشجاعة سمة كل المفسرين الناجحين – إن الكتابة الهيروغليفية كانت بصورة أساسية – وليس ظاهريًا فقط – خليط من العلامات الصوتية والتعبيرية التصويرية. وقد كان شامبليون، هو الذي خرج من الفوضى الظاهرية للكتابة الهيروغليفية بنظام مقنع ذي تفاصيل متقنة مستغل في ذلك تطبيقاته العبقرية لمعرفته بالقبطية وبمصر القديمة، وهي الأمور التي تفوق فيها على يونج بصورة هائلة. وفي هذا الصدد، يقول ريتشارد باركنسون 'إن يونج اكتشف أجزاء من أبجدية – أي مفتاح – لكن شامبليون هو الذي قام بفتح مغاليق لغة بأكملها'

جاء **الفصل الثاني** بعنوان 'الكتابة الخطية الثانية...متاهة مينوس' ، وهو من ترجمة الدكتور محمد عبد الغني حيث يعرض فيها الكاتب جهود مايكل فنتريس في فك ألغاز الكتابة الخطية الثانية. بدأت قصة فك رموز هذه الكتابة في عام ١٩٠٠ على يد السير أرثر إيفانس، حيث قام بحفائر في مدينة كنوسوس في القسم الشمالي في وسط جزيرة كريت، حيث اكتشف ما يعتقد بأنه قصر الملك مينوس المشهور بمتاهته. كانت 'الكتابة الخطية من الفئة الثانية' – والتي تؤرخ الآن بحوالي عام ١٤٥٠ق.م. هي الاسم الذي أطلقه إيفانس على الحروف والأشكال البدائية نسبيًا المخربشة على ألواح طينية كان قد اكتشافها على أثر بدأه في الحفائر، وهي كتابة لم تكن معروفة في كريت (وبطبيعة الحال في بلاد الإغريق في عصر البرونز التي كان يُعتقد أنها كانت لا تعرف القراءة والكتابة). أما عنوان 'من الفئة الثانية' فكان الغرض منه تمييز هذه الحروف عن حروف مشابهة لها وإن كانت مختلفة عنها عُثر عليها على ألواح أقدم من الناحية الأثرية وكان إيفانس قد أعطاها مُسمى' الكتابة الخطية من الفئة الأولى' ، وكان قد عُثر عليها في كنوسوس، ولكن بصورة رئيسية في حفائر قصر مينوي آخر في جنوب كريت. وقد ألحقت تسمية 'خطية' ليس لأن تلك العلامات كانت مكتوبة في تسلسل كتابي وإنما لأنها كانت تتألف من خطوط منقوشة على سطح، وذلك على النقيض من الصور الثلاثية

الأبعاد المحفورة لكتابة ثالثة تصويرية عثر عليها أساسًا على أحجار الأختام في القسم الشرقي فقط من كريت ومنحها إيفانس مُسمى 'الهيروغليفية' وإن كانت في واقع الأمر لا تشبه كثيراً الكتابة المصرية (انظر الفصل السادس عن الكتابة الخطية الأولى والهيروغليفية). ولكن على الرغم من إخفاق إيفانس في فك رموز الكتابة الخطية الثانية فقد اتخذ بعض الخطوات المباشرة نسبيًا والمؤثرة في ذات الوقت في الاتجاه الصحيح وقام بنشرها وهو على قيد الحياة. وقد تعرف إيفانس كبداية – كما أشار– إلى وجود ثلاث كتابات متباينة على الأقل في كريت في الألف الثاني ق.م.: الخطية الأولى والخطية الثانية والهيروغليفية. وكان تركيزه على الكتابة الخطية الثانية – التي كان المتاح منها يفوق غيره بكثير– وحدد الخطوط القصيرة العمودية التي كانت غالبًا ما تتكرر قرب الخطوط الأفقية التي تقسم معظم الألواح كفواصل بين الكلمات (عليها تركيز). إن الخلفية (الثقافية) لمايكل فنتريس كانت عالمية النزعة وغير تقليدية أو مذهبية وهما عاملان من عوامل نجاحه في معالجة موضوع الكتابة الخطية الثانية. ورغم أنه لم يكن ثريًا على طريقة آرثر إيفانس فقد كان لديه من موارده وإمكاناته الخاصة ما يكفيه ويجعله يركز ويعكف على دراسة الكتابة الخطية الثانية دون سواها لفترات كبيرة حين شاء أن يختار ذلك السبيل. كان مايكل فنتريس الابن الوحيد لضابط جيش إنجليزي ولأم نصف إنجليزية إذ كان أبوها ثريًا بولنديًا يُدعى جاناسز Janasz. بدأ ولع فنتريس غير العادي بتعلم اللغات وهو في سن السادسة حين علَّم نفسه البولندية. وسرعان ما التقط الفرنسية والألمانية واللهجة الألمانية السويسرية وهو في المدرسة في سويسرا ، وفي مرحلة لاحقة أضاف إلى حصيلته الروسية والسويدية والإيطالية ولغات أوروبية أخرى بالإضافة إلى تمكن جيد من اليونانية القديمة واللاتينية.

انتهج في طرحه بوضوح نهج إيفانس: 'إن النظرية التي تقول بأن المينوية ربما كانت يونانية تستند بطبيعة الحال على تغاضي متعمد عن المعقولية التاريخية' ووصل به حدسه إلى أن 'المينوية' ستثبت في نهاية المطاف أنها 'مطابقة بدرجة وثيقة للإتروسكية' بعد نهاية الحرب (العالمية الثانية) كان فنتريس قد واصل دراسة الكتابة الخطية الثانية في الوقت الذي كان قد أنهى فيه دراسته وبدأ عمله كمهندس معماري، ولكن خطوته الحقيقية التالية في فك شفرة اللغة لم تأت إلا في وقت متأخر من عام ١٩٤٩م حين شعر بأن نشر ألواح بيلوس وكنوسوس قد أصبح قاب قوسين. وفي حركة غير عادية تليق بروح 'العمل الجماعي' بعث فنتريس باستبيان إلى حفنة من العلماء المعروف عنهم اهتمامهم بتلك القضية، ثم عقد مقارنة بين ردودهم، ثم قدَّم تعليقه هو المستفيض ثم أرسل إليهم (وإلى آخرين غيرهم) من جديد كل شيء في صور منسوخة. وأصبح هذا المنشور يُعرف بـ'تقرير منتصف القرن' ، وقد اختتمه فنتريس بالكلمات التالية:

> 'تحدوني آمال كبيرة في أن يتمكن عددٌ كاف من المشتغلين بأمر هذه السطور من العثور على حلٍ مُرضي لها في القريب العاجل. وأتقدم إليهم بخالص أمنياتي إذا أنني مجبر تحت وطأة مشاغل أخرى أن أجعل من هذه الورقة أخر إسهام متواضع لي في هذه القضية'

في بدايات عام ١٩٥٢م أدرك فنتريس أنه وصل إلى النقطة التي لن يجدي بعدها المزيد من تحليل الرموز. فلم يكن هناك مثيل في الكتابة الخطية الثانية لعمل مثل حجر رشيد، كما لم يكن هناك أمل أو تطلع واقعي في العثور على مثله. وقد عبر فنتريس عن ذلك حين قال 'إن الانتظار لحين العثور على نص ثنائي اللغة لكي يعيننا على حل معضلتنا يُعد من قبيل من يطلق صرخة في واد سحيق' وإذا ما قُدِّر له أن يقف على اللغة التي وراء تلك الرموز فلابد له أن يُدلى في التو بترجيحات محددة مدروسة حول القيم الصوتية لرمزين أو ثلاثة ثم يرى القيم الصوتية التي تتولد عن 'الشبكة' لرموز أخرى كثيرة.

بعد بضعة أشهر وفي مايو ١٩٥٣ وقعت المفاجأة المذهلة المدوية متمثلة في أحد الألواح المدون عليه أقداح ذات أربعة مقابض. لم تكن لغة تلك الألواح هي يونانية هوميروس كما كانت بعيدة عن اليونانية الكلاسيكية ليوربيديس أو أفلاطون – مثلما أن الإنجليزية الحديثة ليست هي إنجليزية شوسير أو شكسبير.

لكن تلك اللغة أعطت معنى وحسًا لغويًا وأثريًا وتاريخيًا طيبًا بعد أن تجاوز العلماء نظرية إيفانس عن المد الاستعماري المينوي وتقبلوا أن كريت قد تعرضت لغزو من قبل الإغريق وأنهم هم من ابتكر الكتابة الخطية الثانية. بحلول عام ١٩٥٣ ولكن بعد العمل الدؤوب على تفاصيل تلك الألواح على مدى العقود التالية فقد ثبت للأسف أنها لا تحتوي على أية معلومات أدبية ذات قيمة وإنما اكتفت بتسجيل بعض التفاصيل النمطية حول إدارة القصر مثل قوائم بأسماء أشخاص وحرفهم وقوائم سلع. وعلى النقيض من الهيروغليفية المصرية أو الكتابة المسمارية لبلاد ما بين النهرين فإن الكتابة الخطية الثانية لم تقدم لنا ولو كلمة واحدة عن أسماء الملوك وإنجازات الأبطال. لكن اللغة كانت يونانية بالتأكيد ولم تكن 'مينوية' كما رجح إيفانس؛ كما أنها سبقت أقدم نقش معروف من اليونانية (الكلاسيكية) بنحو ستمائة أو سبعمائة عام.

أخيرًا يتناول **الفصل الثالث** من هذا الجزء جهود كنوروزوف ومعالجته لكتابة مايا في أمريكا الوسطى، والذي جاء تحت عنوان 'محاكم تفتيش أسقف لاندا رموز مايا المصورة' وقد قام بترجمته الدكتور إسحق عبيد.

يصعب علينا أن نصدق أن هذه الرموز التصويرية – كما يطلقون عليها – تشكل جزءًا من منظومة كتابية متكاملة. وهي ليست من فصيل يشبه الخط المسماري، أو الكتابة الخطية الثانية أو حتى الهيروغليفية المصرية، وإنما هي تبدو كرموز سرية خصصت لطقوس دينية وممارسات عبادات خفية. وقد ظل هذا الانطباع سائدًا في مختلف الأوساط عن رموز مايا حتى سبعينيات القرن العشرين. وكان العالم ج.أ.س. (السير إيريك) طومسون J.E.S.(Sir Eric) Thompson، وهو رائد التصدي لكتابة مايا، قد أعلن سنة ١٩٧٢ ما يلي: 'إن كتابة مايا ليست بالمقطعية أو بالأبجدية في مجملها أو حتى في بعض منها.' ويرجع تعقد هذه الكتابة، طبقًا لحجة طومسون الذي كان قد أمضى عقودًا من البحث المضني حول كتابة مايا، إلى أنها قد ابتدعت لخدمة أغراض الكهان العرافين المشتغلين بالتنجيم، وذلك لضبط مواقيت طقوسهم وفق تقاويم دقيقة، مدفوعين في ذلك بمشاعر روحانية دفاقة. وكان المثل الأعلى لدى هؤلاء الكهنة 'خير الأمور الوسط'، كما كان شعارهم 'عش ودع الآخرين يعيشون'، كما أنهم كانوا يتمسكون بفضائل الانضباط، والتعاون، والصبر، واحترام الآخر. لقد تكشف لنا اليوم، بفضل فك رموز ونقوش مايا مؤخرًا أن أهل مايا، أو بالأحرى حكامها، كانوا مستحوذين بالشهوة في إراقة الدماء والحروب، وأن هؤلاء الحكم وآلهتهم كانوا يتعاطون سوائل الهلوسة والسكر باستخدام المحقنات الشرجية. وقد كتب الباحث مايكل كو Michael Coe من جامعة ييل Yale، بعد بحوث طويلة الأمد في فك رموز مايا نجح بعدها في وضعها في تسلسل زمني تحت عنوان 'اقتحام شفرات مايا'، يقول: 'لقد كانت الغاية المثلى لهؤلاء الحكام من أسر متعاقبة أن يقبضوا على حاكم من دويلة – مدينة منافسة في المعركة، ليقوموا بتعذيبه وإذلاله (أحيانًا لسنوات طوال)، ثم يقومون بقطع رأسه بعد مباراة كروية يتحتم على هذا السجين التعيس أن يخسرها أمام منافسه' لقد أبدى أهل مايا اهتمامًا خاصًا بعامل الزمن وبالدين وبحركة الكواكب السماوية.

لم يتنبه العلماء إلى قيمة حضارة وكتابة مايا حتى أربعينيات القرن التاسع عشر، والذي حدث أن رحالة أمريكيًا جريئًا ومعه جون لويد ستيفنس John Lloyd Stephens، والانجليزي فردريك كاثروود Frederick Catherwood، المصور الماهر، قاموا جميعًا بنشر كتاب كان من أكثر الكتب انتشارًا في القرن التاسع عشر تحت عنوان: 'أحداث الرحلة إلى أمريكا الوسطى، شياباس وبيكطان' إن القضية اللغوية لشعب مايا قضية شديدة التعقيد بحق، فهي إلى جانب صعوبتها (بالنسبة للناطقين باللغات الأوربية الحديثة) تشمل بلهجاتها المعاصرة قرابة إحدى وثلاثين لغة مختلفة. وقد تبين فيما بعد أن المنظومة العددية لشعب مايا كانت منظومة محنكة ومتطورة، فلقد كان أهل مايا (مثل الهندوس) أسبق من البابليين والرومان في اختراع علامة الصفر، في شكل الصَدفة أو القوقعة. وها هي بعض الأمثلة للأرقام البسيطة: صفر، ١، ٤، ٦، ١٩.

هذا وتتسم كتابة مايا بكم مفرط من الأرقام العددية والتواريخ، بقصد قياس الوقت، الذي كان يشغل بال العرافين كثيرًا. ومع أننا لسنا في حاجة إلى التعمق في تفاصيل تقاويم

مايا وصلاتها بطرائق رصدهم للكواكب الفلكية لكي نستوعب فك الرموز غير العددية في النقوش، إلا أن هذا لا يمنع من تعريجنا السريع على الخطوط العامة لهذه التقاويم.

كان أهل مايا يعتقدون أن دورة حياة البشر وأمور دنياهم لها دورة شبيهة بدورات الأجرام السماوية. والواقع أن شعب مايا لم يكونوا يفرقون كثيرًا بين الظواهر الطبيعية وتلك التي تتجاوز الطبيعة، أو بين الفلك والتنجيم، وذلك بخلاف الكثير من المجتمعات القديمة بصفة عامة (ولعل هذا ما يجعلنا نحن أهل العصور الحديثة شديدي الانبهار بحضارة مايا). ولهذا نجد في مخطوطات درسدن تقويمًا يتضمن ٢٦٠ يومًا، ويتصل كل يوم بالأيام الأخرى من خلال حسابات تقوم على رصد لحركات النجوم والكواكب، مع الأخذ في الاعتبار ظواهر كسوف الشمس ودورة كوكب الزهرة كل ٥٨٤ يومًا، وبهذا اكتسب هذا التقويم دلالات تنجيمية، تشير للعرافين بعلامات السُعد أحيانًا وبعلامات الشؤم أحيانًا أخرى – والتي تنكشف للقوم من خلال أعمال وأمزجة ثلة من الآلهة والإلهات وبعض الحيوانات المقدسة.

لم تكن التقنيات التي ساهمت في فك طلاسم كتابات قديمة أخرى (مثل الهيروغليفية المصرية والمسمارية الخاصة بأرض بلاد مابين النهرين) متاحة بالنسبة لكتابة مايا. إلا أن العالم طومسون قد لجأ في نهاية الأمر إلى تحليل المخطوطات والنقوش الحجرية بقصد الخروج بقائمة من الرموز، ولكن هذه المهمة كانت مرهقة للغاية، ولم تظهر في الأفق تباشير بقرب الاهتداء إلى مجموعة من الرموز المحددة للانطلاق منها في فك هذه الألغاز. غير أن كاهنًا فرنسيًا كان يخدم في جواتيمالا، وهو الأب براسير دى بوربورج Abbé Brasseur de Bourbourg، قد انجذب نحو حضارة مايا القديمة، ثم عثر على نسخة لمخطوطة إسبانية مهملة في مكتبة مدريد تمَّ نشرها سنة ١٨٦٤ تحت عنوان: 'وصف لشئون يُكطان' Relación de la Cosas de Yucatán وهذه المخطوطة عبارة عن وصف مفصل لمجتمع مايا. وقد قصد بها أصلاً أن تكون قرينة لتبرئة عضو صغير من أعضاء محكمة التفتيش من الاتهامات التي وجهتها إليه السلطات الإسبانية في تطرفه لتحويل أهل مايا إلى الكاثوليكية. وهذا الراهب كاتب هذه المخطوطة هو فراى ديجو دي لاندا Fray Diego de Landa– من جماعة الفرنسيسكان، كان يقوم بالخدمة في يكطان بدءًا بسنة ١٥٤٧، وبعد أن تمت تبرئته من قبل السلطات قي إسبانيا، صار أسقفًا ليكطان حتى وفاته سنة ١٥٧٩. ومن سخريات الأقدار أن هذا الراهب، الذي قام بتعذيب الكثيرين من أهل مايا وقام بإحراق كل كتاباتهم القديمة على أنها من فعل الشيطان، هو نفسه الذي وضع المفتاح الهام الذي سهل على العلماء مهمة فك طلاسم كتابة مايا، بعد وفاته بأربعة قرون. وقد أقيم تمثال لهذا الراهب عبوس الوجه خارج كنيسة ضخمة قام هو بتأسيسها في بلدة إزامال في يكطان، مع نقش بالإسبانية أسفل التمثال قد يثير الإعجاب عند بعض الزوار أو اللعنة عند بعض الزوار الآخرين.

ولعل أهم ما في هذه المخطوطة هو تلك الرسومات التي خطها لاندا في القسم الخاص بكتابة أهل البلاد، والتي أطلق عليها 'الأبجدية' والواقع أنها ليست أبجدية بالمعنى الدقيق، لأنها تحتوي على أكثر من علامة واحدة لبعض الحروف، إلى جانب العديد من العلامات المقطعية.

هذا وقد جرت محاولات لاحقة،كان بعضها موفقًا إلى حد ما، ولكن أغلب القراءات لخط مايا على أساس حجج لاندا جاءت مشوشة وغير ذات معنى! وبعد عام ١٩٠٥، تجاهل العلماء القراءة الصوتية لأبجدية مايا لمدة تقارب نصف القرن، وفي سنة ١٩٥٢، ظهر على الساحة شامبليون جديد من ركن غير متوقع، ذلكم هو يورى فالنتينوفيش كنوروزوف Yuri Valentinovich Knorozov من الإتحاد السوفيتي. كان كنوروزوف من نفس المعدن الذي تميز به العالم فنتريس، وكان قد انصرف عن بحوثه في الكتابات القديمة بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ومشاركته في الجيش الأحمر السوفيتي، كما أنه شهد سقوط برلين سنة ١٩٤٥. والغريب أن الذي حفز كنوروزوف على التحرك من جديد هو أنه عثر على كتاب عن 'كتابة مايا' في موسكو كان قد تمَّ نقله من مكتبة برلين الوطنية، إلى جانب مقالة مثبطة للعزم عن استحالة فك طلاسم رموز مايا؛ بقلم عالم ألماني مشهور، والتي كان قد نشرها سنة ١٩٤٥. أما الكتاب فكان طبعة لمخطوطات مايا تمَّ نشرها في جواتيمالا في ثلاثينيات القرن العشرين. وقد تولى عالم روسي

في حقل 'الأجناس والأعراق البشرية'، في معهد لينجراد، تشجيع كنوروزوف على كتابة مقال حول أطروحة لاندا عن كتابة مايا، لعله يجد فيها إجابة شافية لقناعته بأن 'أية منظومة كتابية أبتدعها إنسان ما قابلة للاقتحام ولفك ألغازها بواسطة إنسان ما آخر'.

لقد أثمرت جهود العلماء أكلها، وأصبح من الميسور الخروج بخارطة مقطعية لكتابة مايا، مستقاة من فحص مئات من النقوش مع قيمها المقطعية. على أنه لم يتم الاتفاق بعد على موقع كل رمز في هذه الخارطة، وإن كان قد اتفق على عدد كبير من هذه الرموز. والواقع أن كتابة مايا كتابة معقدة للغاية، إذ أنها تحوي المئات من الرموز غير المقطعية أيضًا. ولعل أشد ما يلفت الانتباه هذه الخارطة أنها تضم عددًا كبيرًا من العلامات المتبدلة للقيمة الصوتية الواحدة.

ورغم هذه الجهود المضنية التي عرضنا لها، إلا أن العديد من رموز مايا لا تزال مستعصية على القراءة، وذلك بخلاف الحال مع الهيروغليفية المصرية ورموز الكتابة الخطية الثانية. وقد عبرت الباحثة ليندا شيلي عن ذلك في ملاحظاتها سنة ١٩٩٣، وقت انعقاد ورشة عمل حول كتابة مايا (كما أوضحنا في المقدمة صفحة ١٨)، قائلة بأن الصورة الحالية لكتابة مايا لا تزال معقدة؛ لأن بعض الرموز يمكن استنطاقها وفهم معناها كاملاً، كما نفهم معنى الكلمات من المعاجم، ولكن بعض الرموز الأخرى خالية من القيم الصوتية وإن كان معناها العام وموقع كلماتها من الإعراب معروفًا لنا، ولكن بعض الرموز الأخرى مكتنفة بالغموض المحير. كما أن المكتشفات التي تتم من حين لآخر تجابهنا بسيل جديد من الرموز المستغلقة، التي تحتاج إلى المزيد من الجهد والمثابرة.

الخلاصة التي يمكن الخروج بها من كل هذا وذاك أنه بفضل الجهود في فك طلاسم كتابة مايا– أصبحنا نعرف اليوم أن تاريخ أمريكا لا يبدأ عند وصول كولومبس أو 'الآباء الحجاج' من أوروبا، منذ خمسمائة من الأعوام، كما كان يظن الجميع منذ نصف قرن أو أقل. لقد أثبتت كتابة مايا، بعد أن فكت طلاسمها أن تاريخ هذه الشعوب يرجع إلى ألفين من السنين، وأنه في مقدور الباحثين أن يقدموا على دراسة حضارات هذه المنطقة بنفس الحماس والهمة التي صاحبت دراسة تاريخ مصر القديمة وبلاد اليونان الكلاسيكية.

وهذا العرض يبرز العناصر الأساسية التي أدت إلى نجاح هؤلاء العلماء الثلاثة في مهامهم، كما يبين مقاربات كل منهم وطرائقهم المذهلة في التوصل إلى أن العلامات الصوتية (مقطعية وأبجدية) والعلامات الصوتية (تصويرية أو غير تصويرية) هي التي تؤلف منظومة الكتابة الفعالة. كما توضح هذه الإطلالة قدر الصعوبات التي واجهت هؤلاء العلماء – على المستويين العقلي والعاطفي– وكذا الحقيقة المقلقة بأن المشتغلين بفك رموز الكتابات القديمة أحيانًا ما يتوصلون إلى نتائج صائبة من خلال افتراضات خاطئة.

أما **الجزء الثاني** من كتابنا هذا فإنه يتناول 'الكتابات المشفرة' مُرتبة حسب قواعد أساسية تقوم على مدى معرفة الخبراء بهذا النقش أو ذاك من حيث تعرفهم على اللغة التي نقش بها النص قيد المناقشة. وسوف نبدأ بالكتابات التي لدى الباحثين بعض المعرفة النسبية عنها، ولكنها منقوشة بلغات مجهولة الهوية (أي لغات لا صلة لها بأي من اللغات التي نعرفها؛ من قبيل لغة مروي، والتي جاءت في **الفصل الرابع** تحت عنوان 'أصوات الفراعنة السود'، وقام بترجمته الأستاذ رمضان هاشم، وبمراجعته الدكتور عكاشة الدالي.

لقد كانت الحضارة الكوشية أو المروية واحدة من أهم الدول المبكرة بإفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الرغم من ذلك فإنه ظل يُنظر إليها حتى وقت قريب على أنها كانت مجرد دويلة تابعة لمصر القديمة. والأصول الأثرية لهذه الدولة تعود إلى الألفية الثالثة ق.م، لكنها تدخل التاريخ – عبر إشارات إليها في النقوش الهيروغليفية المصرية – في القرن الثامن ق.م فقط. ففيما بين أعوام ٧١٢ – ٦٥٦ ق.م، غزا الملوك الكوشيون مصر، وتم الاعتراف بهم كفراعنة سود، وقد عرفوا تاريخيًا بالأسرة الخامسة والعشرين، وقد حكم هؤلاء 'الفراعنة السود' إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت من السودان الأوسط إلى حدود فلسطين (يلاحظ هنا أنه أُشير إلى اسم قائدهم بإشارة

عابرة في التوراة حيث ذكر باسم تيراهاتا Tirhakah). وبعدها، اضطر هؤلاء الفراعنة السود إلى الانسحاب، حيث تركز حكمهم في النوبة فقط، وحيث عانوا هناك من غزوات وهجمات دورية شنها المصريون والفرس، وفيما بعد الرومان (والذين سموا الكوشيين – خطأً – بالإثيوبيين، وهذا الاسم يعنى الأشخاص ذوي البشرة المحترقة) – حتى القرن الرابع الميلادي، حين تفككت كوش نهائيًا لأسباب غير معروفة وانقسمت إلى ثلاث ممالك صغيرة تحولت إلى المسيحية.

هذا وقد ظهرت الهيروغليفية المصرية مستخدمة في كوش حتى أواخر القرن الأول الميلادي. لكن هذه الهيروغليفية كانت تظهر بصورة متزايدة إلى جانب الكتابة المروية، أو حلت محلها. وفي الجبانات الملكية في مروي، استخدمت الهيروغليفية المصرية فقط فيء بعض النقوش، بينما استخدمت الهيروغليفية المروية للاسم الملكي في نقوش أخرى واستخدمت الكتابة المصرية الخطية في بقية النص، ومع ذلك فإن هناك نقوش أخرى كتبت بالكامل بالهيروغليفية المروية. وبمرور الوقت، استخدمت صيغة مروية 'متصلة'– تقارن بالديموطيقية المصرية – حتى في أغلبية النصوص الملكية.

إن حل رموز كلا من الهيروغليفية المروية وهذه الكتابة الخطية المتصلة – دون لغتها الأصلية – كان الشغل الشاغل لعالم المصريات البريطاني فرانسيس ليلويلن جريفث Francis Llewellyn Griffith. ولقد كان من الواضح من تحليل العلامات الذي تم في القرن التاسع عشر، إنه كان هناك حوالي ٢٣ علامة ذات أشكال مختلفة في الهيروغليفية المروية، وفي عبارة أخرى كانت 'حروفًا أبجدية' وليست كتابة مقطعية معبرة عن كلمات مثل الهيروغليفية المصرية. وكان من الواضح أيضًا أن الكتابة المروية الخطية المتصلة كانت تكتب من اليمين إلى اليسار، مثل كل الكتابات الخطية المصرية تقريبًا. ولحد ما، وعلى نفس منوال توماس يونج Thomas Young – الذي فك رموز الديموطيقية المصرية – شرع جريفث مباشرة في القيام بمقارنة تفصيلية للكتابات المروية الخطية المتصلة والهيروغليفية. وسرعان ما أدرك إنه يمكن صياغة مترادفات بين العلامات الخطية والهيروغليفية. وكان المفتاح إلى ذلك نقش ذو خط متصل وجد مكتوبًا حول حواف مذابح قرابين في مروي وأماكن أخرى. وكانت الخطوة التالية هي تحديد القيم الصوتية للعلامات المروية. وهنا كان المفتاح إلى ذلك هو نفش ثنائي اللغة (مروى / مصري) كُتب بكلاً من الهيروغليفية المروية والمصرية. ولسوء الحظ، فإن هذا النقش احتوى على أسماء ملك وملكة من مروي فقط، ولذلك فإن ثنائية اللغة هنا لم تكن جوهرية وملموسة مثلما هو الحال في حجر رشيد الذي يتضمن نصًا طويلاً وكذلك أسماء. ومع ذلك فإن هذا النقش كان كافيًا لجريفث ليضع يده على قيم صوتية مجهولة في الهيروغليفية المروية، وذلك من خلال مقارنة هذه العلامات بعلامات مصرية مماثلة ذات قيمة صوتية معلومة.

والواقع أن مقارنتها بالأبجدية المصرية في صفحة ٧٠ ستظهر أن معظم العلامات الهيروغليفية المروية مستعارة من الهيروغليفية المصرية. وعلى جانب آخر، فإن وجه التشابه بين الكتابة الخطية المروية المختصرة والعلامات الديموطيقية المصرية أقل بكثير. إذ أن العلامات المتطابقة فعليًا هي أربعة فقط. إن 'الأبجدية' المروية تختلف كذلك بصورة واضحة عن المصرية في كونها تمتلك أربع علامات ذات قيم مقطعية: فعلى سبيل المثال، فإن العلامتين الأصليتين لجريفث لحرف الـ t قد أصبحتا ثلاثة، أي أضاف إليهما العلماء اللاحقون علامة أخرى وأصبحت هذه العلامات تمثل t، te و to. وهذه النتيجة المفاجئة ترجح أن فهمنا للقيم الصوتية للكتابة والأصوات التي نعبر عنها في اللغة المروية ربما لا تكون كاملة كما نريد. والشيء المؤكد هو أن الكتابة المروية ليست أبجدية بسيطة.

وفى نفس الوقت قام الأستاذ الدكتور عبد القادر محمود عبد الله (من جامعة الخرطوم والمحاضر الآن في جامعة الملك سعود بالرياض) بمحاولة منفردة من جانبه لتقسيم الكلمات المروية وتحليل الأجزاء الأساسية المكونة لها. وعلى افتراض أن اللغة المروية المجهولة هي لغة تجميعية أي أن بناء الكلمات فيها يتأتى من خلال ربط أشكال وصيغ معًا في تتابع طويل جدًا كاليابانية، فقد هدف عبد الله إلى أن يعكس عملية تجميع وتجزئة الكلمات المروية إلى أجزائها الأساسية المكونة للحديث، والتي يمكن ترجمتها فرديًا، ومن ثم إعادة تجميعها لترجيح معنى

الكلمة بأكملها، غير أن هذا المدخل البحثي لعبد الله لم يجتذب دعم الدارسين الآخرين، بسبب أن افتراضه الأساسي غير مدعوم، كما أن منهجه البحثي – كما قدم في العديد من النماذج المنشورة – يكتنفه الشك كما إنه صعب المتابعة.

إن أفضل أمل قد يراودنا حاليًا في سبيل إحراز تقدم في فك رموز المروية الذي بدأه جريفث، يتمثل في اكتشاف نص ثنائي اللغة ذي أهمية مكتوب على الأرجح بالمروية والمصرية. وهذا ليس من قبيل المحال إذ توجد بالفعل النصوص القصيرة ثنائية اللغة، فضلاً عن وجود فرق من بلدان عديدة تقوم بالمسح وإجراء الحفائر في حوالي ٢٠ موقعًا بالسودان وتقوم بانتظام بالعثور على مكتشفات جديدة. وفي كلمات ليكلان (السكرتير الحالي للأكاديمية الفرنسية للنقوش، والبالغ من العمر ٨٠ عامًا، والذي لا يزال يتابع بنشاط لغز وسر الكتابة المروية)، يقول 'إننا نتوجه بدعائنا الحار وصلواتنا من أجل إحراز اكتشافات تدخل السعادة على العلماء، ألا وهو ظهور نص ثنائي اللغة في نهاية المطاف وهو ما تمنيناه كثيرًا'

ثم يتناول **الفصل الخامس** 'الأبجدية الأتروسكية'، والذي قام الدكتور محمد عبد الغني بترجمته. يمثل الإتروسكيون بلا شك أهمية محورية، وموطنهم الأصلي هو منطقة توسكانيا في شمال إيطاليا، كان الإتروسكيون هم القناة التي وصلت من خلالها الأبجدية اليونانية إلى الرومان ومنهم إلى بقية أوروبا. (بل أن الأبجدية الإتروسكية ربما كانت مصدر إيحاء مباشر للأبجدية الرونية في شمال أوروبا حسبما يرى بعض العلماء). لكن لغة الحديث لديهم بادت وانقرضت، ولكن من خلال محاولات إعادة بناء تلك اللغة الإتروسكية المفقودة اعتمادًا على ما تبقى من نقوشهم فإن أقصى ما بوسعنا قوله هو أن الإتروسكية لم تكن تشبه أي لغة أوروبية. إن هيرودوت الذي كتب في القرن الخامس ق.م. يؤكد على أن الإتروسكيين كانوا شعبًا هاجر من قبل إلى إيطاليا عبر جزر بحر إيجة من منطقة ليديا في الأناضول. ليس هناك من شواهد أثرية تؤيد مثل هذه التحركات، ولكن هناك لوحة حجرية مثيرة للفضول من جزيرة ليمنوس في بحر إيجة (على مقربة من الأناضول) عُثر عليها في القرن التاسع عشر وتحتوي على نقش قصير مكتوب بأبجدية ولغة مماثلة للإتروسكية وإن لم تكن هي الإتروسكية ذاتها. ولكننا على يقين بشأن الكيفية التي استعاروا بها الأبجدية اليونانية ليكتبوا بها لغتهم. فلقد استقر مستوطنون إغريق في إيطاليا حوالي عام ٧٧٥ ق.م. في بيثيكوساي (إيسكيا الحالية). كذلك وطَّن الفينيقيون لأنفسهم في غرب صقلية وساردينيا وأصبحوا حلفاء مع الإتروسكيين تجاريًا وسياسيًا (هناك نقوش مزدوجة اللغة فينيقية / إتروسكية كما سنرى)؛ ولكن الإغريق كانوا هم من ترك أعظم الأثر على الإتروسكيين.

إن دراسة الكتابة الإتروسكية تتغذى الآن على تراث كبير من المعرفة الوثيقة بالإتروسكيين كما نراها في المعارض الكبرى القريبة العهد عن هؤلاء الإتروسكيين وحضارتهم في بلدان عديدة. ومع ذلك فلا يزال هناك قدر كبير من الغموض يكتنف اللغة الإتروسكية خاصةً، ولكن هاهم الإتروسكيون وقد بدأوا يخرجون من سراديب الظل بصورة متزايدة ويتم التعرف عليهم كشركاء للفينيقيين والإغريق والرومان.

ثم يتعرض **الفصل السادس** لموضوع 'الكتابة الخطية الأولى' وهو من ترجمة الدكتور محمد عبد الغني أيضًا يُسرد المؤلف في هذا الفصل قصة اكتشاف الكتابة الخطية الأولى.

عندما بدأ السير آرثر إيفانس في الكشف عن 'الكتابة الخطية الثانية'، منذ قرن مضى في كنوسوس اكتشف كذلك – كما نعلم – كتابة أخرى مكتوبة بصفة أساسية على ألواح طينية، 'الخطية الثانية'، هذه الكتابة هي 'الكتابة الخطية الأولى' Linear Script A كما اكتشف فضلاً عن ذلك كتابة تُدعى الهيروغليفية عُثر عليها أساسًا على أختام حجرية كريتية. وطبقًا للسجل الأثري كانت الهيروغليفية هي أقدم هذه الكتابات الثلاثة ويرجع تاريخها بصورة رئيسية إلى الفترة ما بين ٢١٠٠– ١٧٠٠ ق.م. في حين تنتمي 'الكتابة الخطية الأولى' إلى الفترة ما بين ١٧٠٠– ١٤٥٠ ق.م. وأُرِّخت الكتابة الخطية الثانية على أنها لاحقة زمنيًا على الكتابة الخطية الأولى. لذلك توصل إيفانس إلى نتيجة مفادها أن الكتابات الثلاثة قد كتبتب اللغة 'المينوية' الوطنية الخاصة بكريت، وأن الكتابة الخطية الثانية قد تطورت من الكتابة الخطية الأولى التي ربما تطورت بدورها من قبل

عن الكتابة الهيروغليفية – على أساس أن الكتابات المصرية اللاحقة كالديموطيقية قد اشتقت عن العلامات الهيروغليفية المصرية وأن كل الكتابات المصرية كانت تكتب لغةً مصرية واحدة. وكان هذا المفهوم متسقًا مع وجهة النظر السائدة القائلة بأن الكتابة تطورت على الدوام عبر العصور والأزمان من الرموز المصورة مثل 'العلامات الهيروغليفية' الكريتية إلى رموز مجردة نسبيًا مثل معظم رموز الكتابات الخطية الأولى والثانية. إن معظم الاكتشافات المبكرة للكتابة الخطية الأولى (حوالي ١٥٠ لوحًا) لم يُعثر عليها في كنوسوس بل في أماكن أخرى من كريت وعلى يد أثريين آخرين غير إيفانس، خصوصًا في موقع قصر مينوي في جنوب الجزيرة في هاجيا تريادا Haghia Triad.

إن أولى الخطوات الكبرى في فك شفرة الكتابة الخطية الأولى قد اتخذت عام ١٩٥٠ قبل الانجاز والاختراق الذي أحدثه فنتريس مع الكتابة الخطية الثانية. وتركزت تلك الخطوات على نظام الأعداد: ولم يكن من الصعب تحديد الرموز الكتابية الدالة على الأعداد من بين رموز الكتابة الخطية الأولى إذ برزت وتميزت عن بقية علامات تلك الكتابة مثلما كان الحال مع الكتابة الخطية الثانية. وقد أقر إيفانس بالفعل أن نظام الأعداد في الكتابة الخطية الأولى كان في الأساس هو نفس النظام المتبع في الكتابة الخطية الثانية مع إضافة علامة بديلة للرقم ١٠ تتمثل في النقطة الكثيفة.

عمومًا فإن فك شفرة رموز الكتابة الخطية الأولى يظل عاجزًا وبلا فاعلية من خلال الافتقار إلى النقوش الكافية. إن هناك قرائن كافية من أنواع عديدة تجعل المرء على قدر معقول من الثقة في أن القيم الصوتية للكتابة الخطية الثانية قابلة للتطبيق على غالبية نقوش الكتابة الخطية الأولى. وفيما عدا ذلك فليس بوسع العلماء إلا أن يواصلوا إخضاع النقوش المتاحة لدينا لمزيد من الدراسة مع توقع 'الحد الأدنى من النتائج'.

ننتقل إلى **الفصل السابع** وهو بعنوان ' أسرار النقوش القديمة الخط العيلامي المبكرة'، وقد قام الدكتور عبد الوهاب علوب بترجمته. يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن الخط العيلامي المبكر، والذي يعد أقدم خط لم تحل رموزه في العالم على افتراض إنه نظام كتابة مكتمل وهو أمر غير مؤكد على الإطلاق. وإذا أمكن فك رموزه فقد ينبئنا عن أصل أو أصول الكتابة أكثر من أى خط أخر لم تحل رموزه في هذا الكتاب مثله في ذلك كمثل الخط المسماري الأولي الأقدم الذي لم تحل معظم رموزه بعد والذي تم اكتشافه في أوروك بسومر المجاورة (الصفحات ٢٤، ٢٦).

استُعمل الخط العيلامي المبكر لفترة قصيرة منذ خمسة آلاف عام مضت حوالي ٣٠٥٠ إلى ٢٩٠٠ قبل الميلاد في عيلام وهو المسمى التوراتي لإقليم فارس والمنطقة التي يطلق عليها الجغرافيون الكلاسيكيون اسم 'سوسيانا' المشتق من اسم عاصمتها القديمة 'سوسة'؛ وعيلام هي تقريبًا منطقة حقول النفط الواقعة غرب إيران حاليًا. ولكن يبدو أن هذا الخط كان يستعمل في منطقة أوسع كثيرًا من عيلام إذ تم العثور عليه شرقًا حتى حدود إيران مع أفغانستان. ولم تمدنا الآثار أو غيرها من المصادر المكتوبة بمعلومات كثيرة عن الشعوب التي استعملته في الكتابة.

يستعمل الباحثون البادئة 'proto' (بمعنى مبكر أو أولي) نظرًا لأن هذا الخط كان يسبق خطًا آخر لاحقًا عليه يعرف باسم العيلامي الخطي (القديم) والذي تم اكتشافه أيضًا في سوسة واستعمله الحاكم بوزور إنسوسيناك لفترة قصيرة أيضًا حوالي سنة ٢١٥٠ ق.م. والكتابة العيلامية الخطية سبقت بدورها الكتابة المسمارية العيلامية التي استعملها العيلاميون منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولعدة قرون تالية؛ وكانت هذه الكتابة أحد الخطوط المسمارية الثلاثة (إلى جانب البابلية والفارسية القديمة) التي نقشها داريوس حوالي سنة ٥٠٠ ق.م. في بيرسوبولس (بطيسفون) وعلى الجرف الشهير في بهستون شمال غرب عيلام: أي النقش ثلاثي اللغة الذي أثبت أنه المفتاح إلى حل رموز الكتابة المسمارية لبين النهرين بالقرن التاسع عشر. من ثم هناك ثلاثة نظم كتابة 'عيلامية' يفصل كلاً منها عن الآخر ما يقرب من ثمانمائة سنة دون وجود شواهد نصية تنتمي للفجوات الزمنية بينها.

يشير المؤلف إلى وجود عدة عوامل أدت إلى تعطيل حل رموز الخط العيلامي المبكر. فكما سبقت الإشارة، فليس من المتوقع أن نحصل على مساعدة آنية من اللغة التي تعبر عنها هذه الرموز لأننا لا نعلم شيئًا عن هذه اللغة (على خلاف الحال بالنسبة للخط المسماري المبكر)؛ كما إنه ليست هناك نقوش ثنائية اللغة مطلقًا. ثم أن هناك محتوى هذه الألواح – وهي عبارة عن قوائم وحسابات واضحة بذاتها في الكتابة المسمارية المبكرة – وهو ما يحذرنا من الربط بين الكتابة واللغة المنطوقة وهو ربط قد لا يكون دقيقًا (إذ كيف يمكن أن نتعلم لغة حديثة منطوقة اعتمادًا على سلسلة من إيصالات أحد المراكز التجارية؟). كما أنه ليست هناك قوائم بالمفردات، بل مجرد قوائم بأشخاص وأشياء على قدر علمنا. ففي بلاد ما بين النهرين كان هناك تراث من المفردات الكتابية من خلال نسخ قوائم من المفردات كما هو الحال في المعاجم، التي تتبع نفس ترتيب الكلمات على مدى حقب تصل إلى ألف عام أو أكثر؛ ومثل هذه القوائم اللفظية ساعدت في التعرف على الأشكال العديدة الكتابية والنقوش المسمارية المبكرة التي كانت ذات قيمة كبرى في فك الرموز.

من ثم فإن المحاولات المختلفة لتكوين قائمة برموز الخط العيلامي المبكر اعتمدت في المقام الأول على تحليل داخلي للأحرف. وتم عمل إحداها في سنة ١٩٤٩ وضمت ٥٥٠٠ رمز نرى بعضًا منها في الصفحة المقابلة.

لكن من المؤسف أن الخط العيلامي المبكر لا يبشر بإمكانية حل رموزه في الوقت الراهن إذ لا يبدو أنه ينتمي إلى لغات عيلام اللاحقة ولا ندري بأي اللغات الأخرى نقارنه. ومع ذلك فلا يزال هناك الكثير من العمل على تحليل الرموز وهو ما يفعله إنجلند حاليًا بكل جد. ومن الواضح أن هذا الخط الشديد القدم نشأ لغرض تسجيل الحسابات. ولكن يظل هناك سؤال بلا إجابة حتى الآن عما إذا كان الخط العيلامي المبكر كان نظام كتابة حقيقيًا به رموز صوتية أم مجرد نظام معقد من الرموز المعبرة عن كلمات لتدوين سجلات خاصة بالاقتصاد.

وبعدها ننتقل إلى الكتابات التي لا يعرف الكثير عنها، ولكن يظن أنها كتبت جزئيًا بلغات معروفة، وهو ما يحتويه **الفصل الثامن** تحت عنوان 'العلماء يتقاطرون كالطيور على رابانوي... كتابة الرونجو رونجو بجزيرة إيستر' نجد أن كتابة الرونجو رونجو، وهي كتابة أهل جزيرة أيستر الملغزة أيضًا مكتوبة بلغة تنتسب إلى اللغة البولينيزية التي تتشابه مع العديد من اللغات الحديثة. وكلمة رونجو رونجو تعنى 'الغناء' أو 'الأناشيد' وتتسم الرونجو رونجو بالكثير من الغموض المحفز، ولذا فإنها أصبحت نقطة جذب مغناطيسي للعديد من المهتمين بفك رموز الكتابات القديمة.

لقد بلور هؤلاء القوم منظومة للكتابة خاصة بهم تعرف باسم 'الرونجو رونجو'، وهم بذلك الوحيدون في هذا السبق في كل أنحاء منطقة 'أوقيانيا' Oceania . وبينما تمكن أعضاء الإرساليات التبشيرية الغربية من تعلم لغة أهل جزيرة إيستر في يسر وسرعة، إلا أن جميع المحاولات لفك ألغاز هذه الكتابة قد مُنيت بالفشل.

يعتقد عدد كبير من الباحثين أن نقوش الرونجو رونجو مكتوبة بلغة بولينيزية وثيقة الصلة بلغة رابانوي الحالية كما نعرفها اليوم. ولكن المشكلة تكمن في تحديد كيفية تغير لغة الرونجو رونجو منذ وقت تسجيلها كتابة. وكنا قد ذكرنا أن لغة مايا التي كتبت برموز تصويرية كلاسيكية لا تزال موضع جدل بين الباحثين، ويعتقد أنها مختلفة اختلافًا جوهريًا عن لغات مايا الحالية، وربما أنها من عداد اللغات 'المفقودة'.

أخيرًا يتناول **الجزء الثالث** بعض الكتابات الملغزة تمامًا، والتي تم نقشها بلغات مجهولة تمامًا، (وهذا هو التحدي الأكبر للباحثين)؛ من قبيل كتابة أهل نهر السند، ورموز اسطوانة 'فايستوس'

يبدأ هذا الجزء **بالفصل التاسع** بعنوان 'كتابة زابوتي وإسثميا'،هناك بعض القرائن التي تشير إلى أن شعب مايا قد أخذوا فكرة الكتابة – وليس العلامات والرموز – عن كتابات أقدم زمنيًا في منطقة أمريكا الوسطى. وهناك مواقع عديدة في أمريكا الوسطى، ولكن الأرجح أن كتابة مايا قد استلهمت من

كتابة شعب زابوتي وشعب إسثميا، اللذين كانا يملكان كتابات خاصة بهما تفصح عنها النصوص التي تمَّ الكشف عنها. لا تؤلف النقوش التي عثر عليها في منطقة زابوتي مجموعة كبيرة بحال (خاصة عند مقارنتها بما تم العثور عليه في مايا). تأتى غالبية هذه النقوش– وخاصة تلك التي تحمل دلالات هامة – من عاصمة زابوتي المقامة على قمة جبل 'ألبان' Albán في ضواحي مدينة أواكساكا الحديثة. وتشتهر هذه المدينة بساحتها الكبيرة التي تضم بنايات ومقابر تم بناؤها في الفترة الكلاسيكية المزدهرة (بعد عام ٣٠٠م)، إلى جانب بعض البنايات القديمة التي يرجع تاريخها إلى الحقبة ما بين ٥٠٠–٣٠٠ ق.م والتي تحمل نقوشًا سابقة زمنيًا للعصر الكلاسيكي. ويُرجَّح أن كتابة زابوتي قد انتعشت في وادي أواكساكا وما حوله (بما في ذلك ساحل المحيط الهادي) لمدة تربو على الألف عام حتى سنة ٨٠٠ م تقريبًا، عندما أصبحت منطقة جبل 'ألبان' شبه مهجورة من السكان. وعندما وصل الأسبان إلى تلك المنطقة في القرن السادس عشر، كانت لغة زابوتي لا تزال مستخدمة، كما كانت هنالك كتابة لها أيضًا في أواكساكا، ولكنها لا تشبه كتابة زوبتك القديمة.

وحتى الآن ليس هنالك ثمة خيط يرشدنا إلى معرفة نسبة عدد الرموز الصوتية الدلالة، أو كيفية ترابط هذه الرموز بالرموز الأخرى التصويرية للمفردات الكلامية. على أنه من الموثوق به أن مائة علامة تمثل رقمًا كبيرًا بالنسبة لافتراض أن لغة زابوتي لغة مقطعية، كما أن هذا الكم يعتبر ضئيلاً للحكم على هذه اللغة بأنها تتألف من رموز توحي بمفردات الكلمات، كما هي الحال في لغة مايا. ويعتقد الدكتور مايكل كو أن كتبة زابوتي لم يحاولوا تطوير كتابتهم إلي رموز صوتية / مقطعية بنفس الدرجة التي تميز بها كتبة مايا: 'مع ملاحظة أنه لا توجد أية مخطوطات بخط زابوتي قبل الغزو الأسباني، كما أن ما تم الكشف عنه من كتابات على بعض الآثار لا يعين في الخروج برؤية كاملة عن سمات هذه الكتابة في كليتها' ويعنى هذا أنه حتى لو تمكن العلماء من الوصول إلى معالم لغة زابوتي القديمة، فإنهم سوف يكتشفون أن الصورة التي وردت عليها هذه اللغة في مختلف النقوش لا تمثل بالفعل السمات الكاملة لكتابة هذه اللغة، وهذا ما نجده في قضية الكتابة العيلامية الباكرة والرونجو رونجو أيضاً.

وإذا ما انتقلنا إلي كتابة إسثميا، نجد أمامنا صورة على النقيض من كتابة زابوتي: فرموز إسثميا أقل عددًا – ما بين٥٠٠–٦٠٠ حرفًا في مجملها – ولكنها ترد مركزة في نقش طويل، كما أننا على وعى أوفر وأوثق باللغة تعبر عنها هذه الرموز. ولقد خرج عالمان موقران ليعلنا أنهما قد تمكنا من فك رموز كتابة إسثميا، ووجدا أنها كتابة تقوم على المقاطع الدالة على مفردات الكلمات، مع اشتمالها أيضًا على قيم صوتية (٨٠٪ من هذه العلامات) لهذه المقاطع، إلى جانب العديد من الرموز التصويرية الدالة على المعاني. ومع أن الكثيرين يعارضون نظرية هذين العالمين بشدة، إلا أنه لو صحت آراؤهما بالفعل، فإن هذا سوف يصبح إنجازًا رائعًا قد يسهل على الباحثين اقتحام كتابات أخرى ملغزة الرموز.

تبدأ قصة كتابة إسثميا سنة ١٩٠٢، عندما تم العثور على تمثال صغير من الأحجار الكريمة في حقل بمنطقة 'أولمك' جنوبي بلدة فيراكوز، أغلب الظن في جبال 'تيكستلا' بالقرب من مدينة سان أندرياس تيكستلا. ويصور هذا التمثال رجلاً في هيئة 'البطة' وعليه سبعون من الحروف مجهولة الهوية.

بعد ذلك وفي سنة ١٩٨٦ على وجه التحديد عثر بعض الصيادين الحفاة في موقع يدعى 'لا مويارا' (la Mojarra) على نهر 'أكولا' على مقربة من 'تيكستلا'، على حجر ضخم قابع تحت الماء؛ وهم يضعون كومات من كتل الخشب لواحد من المصارف المائية الصغيرة. ووجود أحجار من أي نوع في هذه البقعة من الأحراش والطمي أمر نادر الوقوع. عند هذا الحد ينبغي القول بأن كم النصوص المتاحة بلغة إسثميا قليلة للغاية، مقارنة بنصوص مايا على سبيل المثال، وعليه فإن المؤلف يفند زعم العالمين جستسون وكوفمان عن نجاحهما في فك رموز كتابة إسثميا أمر لا يؤيده واقع الأمور. كما أنهما يزعمان بأن هنالك عددًا وافرًا من الرموز المقطعية والرموز الدالة على مفردات الكلمات في كتابة إسثميا؛ على غير أساس واقعي. كذلك يدعى هذان العالمان أنهما قد تحققا من

التصريفات الزمنية الست وحال الأفعال من خلال اللاحقات من خلال لوح 'لا موياراً'، وهذا ما نجده متاحًا في نص واحد من نصوص مايا. ورغم هذا فإنهما يخرجان علينا بالقول بأن نص 'لا موياراً' كامل ومتماسك ومعزز من الناحية الأجرومية' وفي هذا وذاك ما يدعونا إلي الشك في مصداقية هذه التصريحات، لأنه لا توجد نص في أية كتابة أخرى في العالم تخلو من بعض الخلل وعدم الاتساق والغموض. ونحن نتساءل: لماذا إذن يختص لوح 'لا موياراً' بهذا الكمال الزائد دون غيره من نصوص العالم الأخرى.

من هذا العرض يتبين لنا أن إعلان جستسون وكوفمان عن نجاحهما في 'فك رموز كتابة إسثميا' إعلان يفتقر إلي البرهان، فهو إعلان هش لا يستند إلي أساس. ولكن ينبغي القول أيضًا أن نظريتهما عن وجود صيغة مبكرة من كتابة 'مكسي – زوكيان' نهلت منها لغة إسثميا، تبدو مقبولة. ولكن هذه النظرية الأخيرة تحتاج إلي نصوص جديدة أخرى من قبيل لوح 'لا موياراً' (الذي تم العثور عليه سنة ١٩٨٦)، قبل الإقدام على محاولات أخرى لفك طلاسم كتابة إسثميا. ولئن تحقق هذا وتم العثور على لوحٍ بكرٍ جديد (مثل اللوح الذي جاء ليعزز من فك العالم فنتريس لرموز الكتابة الخطية الثانية سنة ١٩٥٣، فإنه يمكن عندها الاعتماد على محك جديد، يحتكم إليه من خلال علماء محايدين، للحكم على نظرية جستسون وكوفمان حول كتابة إسثميا. وعندها يمكن التطرق إلى القيم الصوتية ومعاني المفردات في هذه الرموز، ومدى اتساقها مع ما نعرفه عن تاريخ وثقافة ولغات شعب إسثميا.

جاء **الفصل العاشر** بعنوان 'كتاب حوض نهر الإندوس' وقد قام بترجمته الدكتور عبد الوهاب علوب.

كانت حضارة وادي الهند مفقودة حتى في عصر الإسكندر الأكبر. فعندما قام مبعوثه أرسطوبولوس بزيارة هذه المنطقة في سنة ٣٢٦ قبل الميلاد وجد 'بلدًا مهجورًا به أكثر من ألف بلدة وقرية هُجرت بعد أن غير نهر الإندوس مجراه. وعلى خلاف الأحرف الهيروغليفية أو أحرف حضارة المايا أو الخط المسماري لبلاد الرافدين والكتابة الخطية الثانية، فخط وادي الإندوس لا نجده على الجدران والمقابر والتماثيل والأنصاب وألواح الطَفل وأوراق البردي والمخطوطات، بل على أحجار أختام وفخار وألواح نحاس وأدوات برونزية وقضبان عاج وعظام وجدت مبعثرة في مباني وشوارع موهنجو–دارو وهارابا وغيرهما من المستوطنات الحضارية. (لا شك أنها كانت تدون أيضًا على مواد سريعة التلف كسعف النخيل الذي كان المادة التقليدية للكتابة فى الهند.) وأحجار الأختام أكثر النقوش عددًا وهي موضع احتفاء كبير لغرابتها وتفرد أسلوبها فى النحت. يقول العالم الآثاري سير مورتيمر ويلر: 'ولا نبالغ إذا وصفناها في أفضل الأحوال على أنها قطع فنية من الواقعية الموجهة وبقوة أثرية لا تتناسب مع حجمها من ناحية وتنتمي إليها انتماءًا وثيقًا من ناحية أخرى' إنها قطع ما أن تراها العين لا تنساها.

هناك حوالي ٣٧٠٠ قطعة منقوشة معروفة ٦٠ بالمائة منها على أختام إلا أن حوالي ٤٠ بالمائة منها نقوش مزدوجة، لذا فالكم الذي يفيد في حل الرموز ليس كبيرًا كما يبدو. وتم العثور على المزيد في تسعينيات القرن العشرين ولكن ليس بالقدر الوفير، لاسيما أن نقوشها موجزة بصورة مزعجة بمتوسط لا يزيد عن أربع علامات (حروف) في كل سطر وخمس في النص، ولا يزيد أطولها عن ست وعشرين علامة مقسمة على ثلاثة أضلاع منشور من الطين المحروق مثلث الشكل. وبالإضافة إلى العلامات فإن عددًا من أحجار الأختام نُحت عليها صور حيوانات تفصيلية في الغالب وهي حيوانات معروفة بصفة عامة –كالكركدن والفيل والنمر والجاموس والبقر المسنم (ولكن من الغريب عدم وجود القرد أو الطاووس أو أفعى الكوبرا) – لكن بعضها حيوانات خيالية منها حيوان ذو قرن واحد تعجل المنقبون الأوائل وسموه 'أحادي القرن' (حيوان خرافي نشأ أسطوريًا فى الهند). وهناك أشكال بشرية غير محددة بعضها جالس في وضع يشبه اليوجا وربما كانت لآلهة أو إلهات، ما حدا بالعديد من الباحثين بدءًا من مارشال إلى افتراض أن بعض هذه الأشكال يمثل أسلاف آلهة الهند التي ورد ذكرها بعد ذلك بألفيتين فى النصوص السنسكريتية؛ وأطلق مارشال على أحدها اسم 'شيفا الأول'

ونركز الآن على أربعة من المزاعم الأقرب إلى الجدية لعلماء أجلاء. ومع أنها جميعًا لقيت رفضًا عالميًا باتًا حيث لم يُقبل أي منها فإن كلاً منها كان بها شيء يستحق أن نتعلمه عن كيفية تناول هذه المشكلة الصعبة. ويلاحظ فيما يلي أن كل النقوش قُرئت من اليمين إلى اليسار.

أول هذه الحلول نشر فى سنة ١٩٣٢ وتعامل مع خط الإندوس كما لو كان ينتهج نهج النقوش الهيروغليفية المصرية. ولم يفترض مؤلفه سير فليندرز بتري، عالم المصريات وجود أية صلة بين اللغتين الإندوسية والمصرية، ولكنه افترض أن السمة التصويرية لبعض العلامات الإندوسية ومتغيراتها ونحوها يدل على معناها على غرار النموذج المصري على افتراض أن الأختام تنتمي إلى مسئولين وتضم ألقابهم.

وثاني حل للرموز اقترحه عالم الحضارة الأشورية كينير ويلسن (من جامعة كيمبردج) فى كتابه J. V. Kinnier Wilson, Indo-Sumerian (الهندي السومري، ١٩٧٤) الذي يربط فيه بين حضارة وادي الإندوس والسومريين. ويقال إن كليهما انحدرًا من أصل واحد ربما يرجع للهند وإنهما انقسما إلى فرعين استقر أصغرهما في سومر والأكبر بوادي الإندوس؛ وهكذا فاللغتان السومرية والإندوسية قريبتان وفقًا لهذه النظرية ما يسمح بالمقارنة بين نقوش كل منهما.

والحل الثالث للرموز قام به س. ر. راو وهو آثاري هندي معروف قام بتنقيب العديد من المواقع الإندوسية وأصبح مديرًا للمسح الأثري. وتقدم بحله هذا فى كتاب ضخم مفصل بعنوان جزئ The Decipherment of the Indus Script (حل رموز الخط الإندوسي، وضمنه ثلاثة افتراضات جذرية، أولها أن العلامات الإندوسية معظمها مركبة من مجموعة صغيرة من الرموز وهى فرضية تذكرنا بمحاولة بوزدنياكوف 'لتخفيض' قائمة رموز الرونجو رونجو.

والحل الرابع والأخير لرموز هذا الخط لعالم الآثار الأمريكي والتر فيرسرفيس Walter Fairservis Jr. الذي أمضى عشرات السنين في التنقيب في وادي الإندوس والمناطق المحيطة به (وكذلك فى مصر) بتمويل جزئي من 'المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي' وفى سنة ١٩٨٣ نشر مقالاً مطولاً عن الخط الإندوسي في مجلة Scientific American سرعان ما تحول إلى كتاب بعنوان :The Harappan Civilization A Model for the Decipherment of the Indus Script (حضارة هارابا وكتابتها: نموذج لحل رموز الخط الإندوسي، ١٩٩٢). ومع أن العنوان يبدو حذرًا فما من شك في أن المؤلف قد أوجد حلاً للمشكلة. (أتذكر عدم تصديق أمين المتحف البريطاني للأختام الإندوسية بعد أن وجد زائرًا يسمى فيرسرفيس الذي 'قرأها' له كلها.)

أخيرًا فهناك شيء واحد لا شك فيه وهو أن الناس سيواصلون محاولة فك رموز الخط الإندوسي. وهذه الأختام الصغيرة الغامضة المفعمة بالحياة تأسر اللب فلا يجد المرء منها فكاكًا. وعلى فرض أن الحفائر ستستمر في كل من الهند وباكستان في القرن الجديد فإني أرى في الأفق أملاً يبشر بحل رموز الخط الإندوسي ولو جزئيًا ويحظى بقبول واسع.

ولا شك فيه وهو أن الناس سيواصلون محاولة فك رموز الخط الإندوسي. وهذه الأختام الصغيرة الغامضة المفعمة بالحياة تأسر اللب فلا يجد المرء منها فكاكًا. وعلى فرض أن الحفائر ستستمر في كل من الهند وباكستان في القرن الجديد فإني أرى في الأفق أملاً يبشر بحل رموز الخط الإندوسي ولو جزئيًا ويحظى بقبول واسع.

أخيرًا جاء **الفصل الحادي عشر** مخصصًا 'لقرص فايستوس'، وقد قام بترجمة هذا المقال الدكتور محمد عبد الغني. ويشير المؤلف فيه إلى قصة اكتشاف قرص فايستوس.

اكُتشف القرص عام ١٩٠٨ على يد الأثري 'لويجي بيرنيير' بين أطلال قصر في فايستوس في جنوب كريت. ويوحي السياق الأثري بأن تاريخ هذا القرص يعود إلى الفترة ما بين ١٨٥٠–١٦٠٠ ق.م.، أو بعبارة أخرى فإنه كان معاصرًا للكتابة الخطية الأولى والكتابة الهيروغليفية الكريتية لإيفانس. ويبلغ طول قطر القرص حوالي ١٦ سم (٦,٥ بوصة) كما يبلغ سمكه ١,٩ سم (٠,٧٥ بوصة) وهو مصنوع من الطمي الناعم. وعلى وجهيّ القرص (أ و ب) هناك نقش يتكون من رموز أو علامات

مضغوطة فوق الطمي الرطب المبلل قبل حرقه عن طريق مثقاب أو ختم. ويحتوي القرص على ٢٤١ أو ٢٤٢ رمزًا (إذ تهشم أحدها) تشكل في مجموعها ٤٥ علامة (حرفًا) أساسية، وتنقسم هذه الرموز إلى أقسام قصيرة تفصل بينها خطوط (٣١ قسمًا على الوجه الأول A و٣٠ قسمًا على الوجه الثاني B). وقد رُتبت هذه الأقسام بطريقة حلزونية حول المركز على الوجهين.

إن كون العلامات (الحروف) مطبوعةً بالضغط البارز على طمي القرص وليست محفورة فيه (وهو ما يخالف طريقة كتابة رموز الكتابة الخطية الأولى والثانية المحفورة المنقوشة) يعني أن هذا القرص هو – كما يقولون – 'أول وثيقة مطبوعة في العالم' (كما يقول شادويك)، وأنه ظهر إلى الوجود قبل ألفين وخمسمائة عام من بداية الطباعة في الصين وقبل ما يزيد على ثلاثة آلاف عام من إنجيل جوتنبرج. ولكن ما الدافع وراء أن يزعج أي شخص نفسه بإنتاج وتصنيع ختم عليه نص مطبوع بدلاً من أن ينقش كل علامة (حرف) في حينه المرة تلو الأخرى كما هو الحال في الكتابة الخطية الأولى والثانية؟ إذا كان الفرض هو 'طباعة' نسخ عديدة من الوثائق فلماذا لم يُعثر على وثيقة واحدة أخرى بهذه الكتابة على مدى ما يزيد على تسعين عامًا من الحفائر المكثفة؟ ثم لماذا لم تتشابه علامات ورموز قرص فايستوس – إلا بمحض المصادفة لا أكثر – مع رموز وعلامات الكتابة الهيروغليفية أو الكتابة الخطية الأولى أو الخطية الثانية؟ هل يمكن أن يكون هذا القرص قد ورد إلى كريت (من خارجها)؟

أما **خاتمة الكتاب**، فهي تدور حول المحاولات التي لا تنقطع في حقل الكتابات المشفرة، ومن ثم فقد عنونا هذه الخاتمة بعنوان 'فك الطلاسم كمطلب مُلح' والواقع أن العديد من الصحف والمجلات والدوريات العالمية مثل:(Nature, Science, Scientific American, Antiquity, New Scientist and National Geographic)، تنشر تباعًا أخبارًا عن فك طلاسم الكتابات، وأحيانًا بشيء من التفصيل. كما أن هناك مواقع هامة على شبكة الإنترنت مخصصة للكتابات الملغزة (إلى جانب بعض المواقع التي يشك في صحة معلوماتها). ولعل القارئ يتساءل عن الأسباب التي تجعل الكثيرين من الأفراد في مختلف بلدان العالم يولون أمر الكتابات القديمة كل هذا الاهتمام؟. وفي هذا الفصل الأخير من الكتاب سوف يتبين للقارئ ما الذي يمكن لنا كأفراد أن نتعلمه في هذا الميدان، بالمعنى الأعم، من خلال التحديات التي تنطوي عليها مهمة فك الطلاسم، وأيضًا من خلال منظومات الكتابة في العالم القديم بصفة شمولية.

هذا وقد آثرنا في **الجزء الثاني** من هذا العمل ألا نعرض لبعض الكتابات المستغلقة؛ من قبيل الأبجدية الرونية (runic) المُشكلة في الشمال الأوروبي، وكتابات الصين القديمة ('عظام الوحي' وعلامات الفخار العتيق)، لأن أغلب الكتابات الرونية ومجمل الكتابات الصينية قد نقشت بطرائق مألوفة ولغات نعلمها، حتى ولو كانت المعاني المتضمنة لبعض هذه النقوش موضع جدل كبير بين المتخصصين. ومن بين الكتابات التي أسقطناها أيضًا النقوش النادرة من شبه جزيرة سيناء (حوالي ١٥٠٠ ق.م) والتي عثر عليها السير فلندرز بتري Flinders Petrie سنة ١٩٠٥ في وسط شبه جزيرة سيناء، على حجرين صغيرين في شكل أبي الهول وعلى بعض الصخور. وقد انشغل عالم المصريات السير ألان جاردنر Alan Gardiner سنة ١٩١٦ بهذه المكتشفات في سيناء، وخرج بنتيجة مؤداها أن هذه النقوش تشبه الهيروغليفيات المصرية منقوشة بلغة سامية، فيما يمكن وصفه بالكتابة الباكرة لسيناء، والتي يعتقد بعض العلماء أنها تمثل 'حلقة مفقودة' بين الهيروغليفية المصرية والأصول الأولى الملغزة لأبجدية أهل فلسطين. (وفي سنة ١٩٣٤ / ١٩٣٣ تمَّ الكشف عن شظيتين أقدم تاريخًا في مصر أيضًا، يظن أنهما أقدم الأبجديات على الإطلاق، الأمر الذي يعزز من نظرية جاردنر بأن الأبجدية في الأصل كانت مستوحاة من الهيروغليفيات المصرية، وليست مبتدعة في فلسطين، وإن كان هذا الأمر لا يزال موضع جدل كبير حتى اليوم). كذلك أسقطنا في هذا الجزء نفسه كتابة 'تانجوت' لأهل شمالي غربي الصين، والتي تبنى على الحروف الصينية، والتي استخدمت سنة ١٠٣٦م لكتابة اللغة الخاصة بأهالي التبت وبورما. وأخيرًا عمدنا أيضًا إلى إسقاط المخطوطة التي يدور حولها لغط كثير، وهي مخطوطة 'فونيش' Voynich، والتي تقع في ٢٣٥ صفحة

ملغزة، وهي على ما يبدو من نتاج أوروبا العصور الوسطى. وقد أهداها جامع الكتب ولفريد فونيش إلى جامعة ييل Yale سنة ١٩٦٩ (وهناك من القرائن ما يشير إلى أن كاتب هذه المخطوطة قد يكون العالم روجر بيكون Roger Bacon، ولو صحَّ هذا الافتراض فإن هذه المخطوطة إذن تعود إلى القرن الثالث عشر).

أما بالنسبة لكتابات شبه جزيرة سيناء الباكرة، فليست هناك مادة كافية تعين على التحقق من هويتها على وجه التحديد، في حين أن حضارة 'تانجوت' ليس لها موقع في كتاب مثل كتابنا هذا الذي ليست له سمة التخصص الضيقة. وبالنسبة لمخطوطة فونيش فإنها تمثل تحديًا حقيقيًا لمحللي اللغات القديمة أكثر من تحديها لعلماء الخطوط القديمة، وبهذا فهي تقع خارج دائرة هذا الكتاب. ويقول المؤلف 'ومع أننا نعرض لذكر الكتابات المشفرة الهامة بصفة عابرة (وليس للشفرات نفسها) في هذا الكتاب في المواضع المناسبة، إلا أننا سوف نركز على تلك الكتابات التي تنتمي إلى حضارات هامة (مثل الأبجدية الإتروسكية)، أو على تلك تبشر بآمال في فك رموزها على المدى البعيد (مثل الكتابة العيلامية المبكرة)، أو تلك التي تتوافر لها هذه المعايير الثلاثة مثل كتابة نهر السند'.

وأخيرًا يصرح الكاتب باعتقاده في عدم إمكانية فك طلاسم الكتابات التي نعرج عليها في الجزء الثاني من هذا الكتاب بصفة قاطعة في الوقت الحالي، ولكنه في نفس الوقت يعتقد أنه بالإمكان إحراز شيء من التقدم، فلو أن مادة جديدة يتم الكشف عنها– كما حدث في العقود الأخيرة بالنسبة لكل كتابة نعالجها في هذا الكتاب ماعدا الرونجو رونجو وأسطوانة فايستوس– خاصة لو كانت هذه المادة المكتشفة وفيرة، فعندها فقط قد تبدو في الأفق آمال تبشر بالخير والتوفيق.

لعل في هذا الأمل ما يطمئن القراء الطموحين الذين يتطلعون إلى تقفي خطى مايكل فنتريس، بالاستعانة بطبيعة الحال بالمراجع والمقالات العلمية التي نذيل بها هذا العمل، إلى جانب المصادر الأخرى العالمية على مواقع الإنترنت.

* نُشر هذا الكتاب مرتجمًا إلى اللغة العربية، في سلسلة دراسات التي تصدر عن مركز الخطوط.